مادة النص الأدبي المعاصر **جميع التخصصات**

المستوى: السنة الثانية ليسانس **الأستاذ: بن زياني**

محاضرة رقم: 04 **الحداثة الشعرية في الجزائر**

توطئة:

يرى الدارسون للشعر الجزائري المعاصر، أنّه قد تأثر بعوامل عديدة، جعلته يبتعد عن النظام القديم، ويعمل جاهدا على تجاوزه، من خلال البحث عن الجديد الذي يتماشى مع معطيات الواقع الراهن، والتغيرات الفكرية والأدبية، ومن بين هذه التأثيرات:

-البحث عن التغيير من أجل التماشي مع الواقع، أو ما يسمّى ب " قضية الالتزام الشعري".

-التأثر بالكتابات الغربية وكذا العربية المشرقية، والتأثر بالتقنيات الحديثة والمعاصرة في كتابة القصائد.

وإنّ التطوّر الملحوظ في القصيدة الجزائرية المعاصرة من ناحية البنية الفكرية، أدى بدوره إلى تطوّرها من ناحية اللغة والصورة الأدبية، كنتيجة لتنوع ثقافة الشاعر المعاصر واطلاعه على النماذج الشرقية والغربية.

تحولات الشعر الجزائري المعاصر:

مرّ الشعر الجزائري بعدّة مراحل منذ نشأته، وكانت أولى هذه المراحل، مرحلة التقليد والمحاكاة لثقافة المشرقية، حيث نظم الشعراء قصائدهم على منوال القدامى من الناحية الشكلية، فالقصيدة العمودية كانت قالبا يفرغون فيه تجارهم الشعرية، لكن المضمون متماشيا مع واقعهم.

فكان أوّل جيل كتب أحرفه من نار ملتهبة في تاريخ الشعر الجزائري، هو (جيل الثورة)، الذي التزم بفكرة النضال منذ أن وطئت أقدام الاستعمار تراب هذه الأرض الطيبة،فظهر الشعر الثوري النضالي مع شاعر الثورة مفدي زكرياء ومحمد الصالح باوية ومحمد العيد آل خليفة، وغيرهم.

يقول مفدي زكرياء:

قام يختال كالمسيح وئيدا **يتهادى نشوان يتلو النشيدا**

بَاسِمَ الثغر كالملاك أو كالطِ **فل يستقبل الصباح جديدا**

ويقول الصالح باوية في قصيدته" الإنسان الكبير":

يا زغاريد أعْصِفي

يا هُتافات أَقْصِفِي

مَزِقي طيف الحدود اللاهثات

طَوفي بالأفق

طيري

حَطمي حُلمَ الطُغاة المُرهق.

ووجد شاعر السبعينيات نفسه ينطلق في سماء الإبداع الفني، ينقل الواقع الايديولوجي، مثل: عمر أزراج وسليمان جوادي.

يقول أزراج في قصيدته" أغنية السعادة" متأثرا بقصيدة محمود درويش: ريتا والبندقية":

آه يا سيدي أعرف أنّي أحمل الحزن صليبا

قبل ميلادي ولكني أُمَنّي القلب كي لا أَدْفنَ الشمس الغريبة.

غَيِبِيني أَبْعِدِيني

فأنا أفرَحُ لَو أَنْسَى مصيري في عيونك.

وفي فترة الثمانينيات، اكتملت التجربة الشعرية الحديثة في الجزائر، مما أدى إلى وجود صراع بين المجددين والمحافظين، مما انعكس على روح الشعر في هذه الفترة، التي تعد مرحلة التّحول والتغيير،إذ ظهرت أشكال شعرية جديدة، وتراجعت الأشكال الشعرية العمودية القديمة، وظهرت شعراء حداثيين أمثال:(لخضر فلوس، عاشور فني، علي ملاحي، عثمان لوصيف، وعياش يحياوي)، وفي هذه الفترة ظهرت علامات شعرية تحمل رؤية مجددة للكتابة الشعرية على مستوى البناء والمضمون. مَثلَها الشاعر "عبد الله بوخالفة" من خلال قصيدته(شلال المغامرات) والشاعر " عمار مرياش" في مجموعته الشعرية(اكتشاف العادي).

ورغم اختلاف القوالب الشعرية مابين العمودية والحرّة، إلاّ أنها تشترك في التعبير عن نفسية الشاعر اتجاه القضايا الوطنية وقضايا الأمّة الإسلامية والإنسانية، لاسيما النص الشعري الجزائري الذي" خرج عن التقاليد التي كانت تحكمه في شكله ومضمونه" إذ أبدع الجيل الجديد لنفسه أشكالا جديدة بتجارب حديثة تناسب واقعه وعصره.

ومن بين أهم الموضوعات التي تبرز تجربة الحداثة الشعرية في الجزائر ما يلي:

أ)شعر الطبيعة: جعل الشاعر الجزائري الحداثي من الطبيعة رمزا صوفيا للوصول للذات وتحقيق الوجود، حيث اهتم بها هذا الجيل وأعطاها صبغة إنسانية متخذا من نماذجها حالة شعورية وتأملية.

ويعد "يوسف وغليسي" أنموذجا لهذا الجيل، الذي وظف هذا العنصر بقوة من أجل التعبير عن الذات والتعبير عن الآخر الذي أصبح جزءا لا يتجزأ من ذات المبدع المعاصر، ويظهر هذا في قوله:

تقسِمُ لي الرياح الشتوية

بالرياح.. وبالأمواج..وبالغيم الممطر..

أن الأشجار لفي خسر

إلاّ ما آمن بالجذر الضارب

في الأعماق..

ب)شعر التّصوف: إنّ التجربة الصوفية تجربة لغوية متميزة ومتفردة خاصة بكل شاعر، فهي تنطلق من أعماقه ليجعل المتلقي يشعر بالدهشة ويشاركه تجربته الصوفية، ومن أبرز هؤلاء الشعراء: عثمان لوصيف،مصطفى دحية، عبد الله حمادي، أحمد عبد الكريم، الخضر فلوس، محمد مصطفى الغماري، ويوسف وغليسي، وغيرهم.

يقول مصطفى دحية من ديوانه (بلاغات الماء):

هذا...

ويَسْرِقُني الله من غفوتي

كلما حَلَمْتُ بعرشٍ على الماء

...

الله في جنازتي

يا ماسحين الأرض بالعسل

صُبُوا على قصيدتي

ج) شعر المرأة: أصبحت المرأة في شعرنا الحداثي رمزا صوفيا يتوحد فيه الشاعر مع الذات الإلهية، وكأنها حبل وصال ما بين الشاعر والدرجة النورانية التي يريد أن يرتقي إليها، فهي:" الحلم الواعد والتوحد المطلق والسّمو على الواقع".

يقول مصطفى الغماري في قصيدته(غيم ونور):

غازلتُ في عينَيكِ وِرْدَ تَوحُّدي

فرأيتُ ما لم تُبْصِرْ العينان

وضَمَمَتُ أشهى ما تَضمُّ سرائرُ

وتَعَطَرتُ بِرُؤَى الهَوَى أَجْفَانِي

فالشاعر الجزائري المعاصر بصفة عامة وجد في المرأة الملاذ والأنس والراحة والطمأنينة وهروبا من مرارة الواقع، والبحث عن الحب الطاهر النقي مع هذه الأنثى داخل تجربته الشعرية.

وعليه كانت التجربة الشعرية الجزائرية الحداثية تقوم على تجاوز النظم القديم دون إحداث قطيعة معه، فالشاعر الجزائري المعاصر يتبنى القديم ويستلهم منه عناصر إبداعه ومنفتحٌ على الجديد الذي يساير متطلبات حياته.